المبحث الثانى

الإعلام الإفريقى فى عصر المعلومات(*)

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن – أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

obeikandl.com

obeikandl.com

من خلال شعارات الليبرالية الجديدة والسوق الحرة ومن خلال أطر قانونية محكمة (اتفاقيات الجات) استطاعت القوى العالمية المتحكمة فى السوق أن تعيد إنتاج الهيمنة الغربية على دول الجنوب فى ثوب جديد يسمى العولمة. وفى ظل العولمة تم تهميش مجمل دول الجنوب وفى مقدمتها القارة الأفريقية التى تم حرمانها من التمتع بحقوقها فى مواردها الطبيعية التى أقرتها اتفاقية التنوع الحيوى فى قمة ريو دى جانيرو ١٩٩٢. كما تم تصفية وتفكيك الصناعات المملوكة للدولة فى مختلف أنحاء أفريقيا وفُتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الأرخص المجلوبة من الخارج كما تم اسقاط النظام التفصيلى للمنتجات الافريقية الأساسة مثل البن والكاكاو والشاى والموز مما عرض الدول الأفريقية لخسائر فادحة فى الأسواق الأوربية. هذا علاوة على حرمان أفريقيا من امكانية التصنيع إلا برؤوس أموال أجنبية من خلال اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف. ونتيجة للضغوط المتواصلة من جانب جماعة المانحين انتهجت الدول الأفريقية طوال العقد الماضى سياسات أسفرت عن التصفية الفعلية لكل وظائف الدولة الاقتصادية حيث تم إجبار الدول الأفريقية على خصخصة أصولها الوطنية. وإذا كانت قوى العولمة قد نجحت فى تخلى الدول الافريقية عن كثير من وظائفها ومسئولياتها فإن الإعلام الأفريقى له وضع آخر فهو لا يزال فى أغلبه حكومياً. إذ أن أغلب الحكومات الأفريقية لا تزال تعتبر الإعلام أحد مسئولياتها الرئيسية. ولذلك فإن خصخصة وسائل الإعلام لا تزال ظاهرة ناشئة فى أفريقيا فى ظل عدم تشجيع الحكومات التى تعتبرها تهديداً لنفوذها ومكانتها. هذا ويشير المشهد الإعلامى فى أفريقيا إلى مجموعة من الحقائق والتحديات وبعض مظاهر التحسن النسبى نوجزها على النحو التالى:

أولاً: ملامح الخريطة الإعلامية والمعلوماتية فى أفريقيا:

١- يسكن القارة الأفريقية ٦٣٦ مليون نسمة يعيش ٣٢% منهم فى المدن فيما يعيش فى الريف الأفريقى ٦٨% من سكان القارة. وهناك تعددية أثنية ولغوية (حوالى ١٣٠٠ لغة شفوية) وتبلغ نسبة الأمية فى أفريقيا ٨٠%. وتشير احصاءات اليونسكو ١٩٩٦ إلى أن ١٨% من السكان يمتلكون الراديو ويعتمد الغالبية العظمى من شعوب القارة على الراديو كوسيلة أولى للأخبار. ولا تتعدى نسبة

استهلاك الصحف ٤ فى الألف إذ يوجد فقط ١٧٥ صحيفة يومية و٣٠٠ دورية أسبوعية وشهرية فى جميع أنحاء القارة الأفريقية وهناك ٣½% من سكان القارة يمتلكون التليفزيون و٠,٠٣% يمتلكون الكمبيوتر. وتنفرد أفريقيا بعادات القراءة الجماعية للصحف والاستماع والمشاهدة الجماعية للإعلام المسموع والمرئى خصوصاً فى الريف الافريقى.

٢- يسيطر نمط الملكية الحكومى على مختلف وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع فى أفريقيا ما عدا عدد قليل من الدول تتصدرها مصر وجنوب أفريقيا وكينيا وزامبيا وناميبيا والسنغال وتونس والمغرب والجزائر.

٣- يتركز الإعلام الأفريقى فى العواصم والمدن الكبرى مما يعنى اقتصار الخدمات الإعلامية على سكان المدن وحرمان الريف الأفريقى. كما أن السياسات الإعلامية فى معظم الدول الأفريقية تركز على الجوانب السياسية والدعائية للحكام.

٤- يتركز سوق الإعلام الفضائى فى منطقتى الانجلوفون والفرانكوفون. أما المناطق الناطقة بالبرتغالية فهى لا تزال تعيد إذاعة برامجها فى انجولا وموزمبيق. ويتميز كل من شمال القارة ممثلة فى مصر وجنوب القارة ممثلة فى جنوب أفريقيا فى مجال الفضائيات. إذ توزع شركة جنوب أفريقيا Multi Choice قنواتها على ٣٩ دولة افريقية وتعتبر القناة رقم ٥ المخصصة للموسيقى أشهر هذه القنوات. كما انشأت هيئة الإذاعة بجنوب أفريقيا قناة أفريقيا الفضائية للأخبار وتقتصر هذه الخدمة على النخب القادرة على اقتناء الهوائيات. ومنذ عام ١٩٩٨ بدأت بعض الدول الأفريقية فى استقبال قنوات النايلسات أول قمر أفريقى يديره اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصرى.

٥- تتوفر الخدمات المعلوماتية فى ٢٧ دولة افريقية أغلبهم فى منطقة الفرانكوفون حيث بدأ استخدام المينتيل قبل أن تصبح خدمات الانترنت متاحة فى القارة والتى بدأت تنتشر فى السنوات الأخيرة حيث أصبحت معظم الدول الأفريقية متصلة بشبكة الانترنت وهناك عدد قليل من الدول الافريقية التى تمتلك خطوط اتصال دولية على الانترنت ومعظمها يتم عن طريق الأقمار الصناعية. أما البريد الالكترونى فهناك تزايد فى عدد المشتركين خصوصاً الهيئات العامة مثل

المستشفيات والشرطة. ويبلغ عدد مستخدمى الانترنت ٢٢ مليون و٨٧٠ ألف منهم ١٣ مليون مستخدم فى جنوب أفريقيا والـ٩ مليون الباقية لسكان القارة إلى ٦٣٦ مليون نسمة.

٦- تشير الاحصاءات إلى أن نسبة استخدام الأفراد للتليفونات فى افريقيا تبلغ ١,٤% علماً بأن أغلب التليفونات تتعرض للعطل أثناء مواسم المطر. ومما يجدر ذكره أن ٥٠% من خطوط التليفون تتركز فى العواصم الكبرى حيث يعيش ١٠% من سكان القارة. ومما يثير الدهشة أن معدل توفر الخطوط الرقمية فى القارة تقترب من النسبة العالمية إذ تبلغ ٦٩% فيما لا تزيد النسبة العالمية عن ٧٩%. هذا ويتدنى معدل الخدمة التليفونية فى دول الساحل التى تضم النيجر ومالى والكونغو إذ لا يزيد عن جهازين لكل ألف نسمة فيما تزداد الكثافة التليفونية فى كل من الشمال والجنوب الأفريقى حيث تبلغ ٣٥ جهازاً لكل ألف نسمة أما غرب وشرق القارة فالنسبة تتراوح بين ٢,٥، ١٠ أجهزة لكل ألف نسمة. وقد أدى ذلك إلى مضاعفة سعر الخدمات والخطوط التليفونية فهى تستهلك ٢٠% من الدخل القومى للدول الأفريقية فيما لا يزيد المعدل العالمى عن ٩%. وقد ترتب على ذلك سرعة انتشار المحمول فى الدول الأفريبية كبديل عن قلة الخطوط التليفونية. وقد أصبحت هذه الخدمة متاحة فى ٤٥ دولة أفريقية. ورغم ضآلة الخطوط التليفونية إلا أن نسبة استخدام المكالمات الدولية يتجاوز المعدل العالمى ويعزى ذلك إلى زيادة اعداد الافارقة الموجودين خارج القارة والذين يحرصون على مداومة الاتصال بأهاليهم داخل القارة.

٧- هذا وقد قامت ٢٥ دولة أفريقية بخصخصة هيئات الاتصالات السلكية الوطنية من بينها ساحل العاج وغانا وغينيا والسنغال وجنوب أفريقيا وأوغندا. كما أقامت ٢٠ دولة أفريقية نظماً مستقلة أو شبه مستقلة فى الاتصالات. وهناك ١٥ دولة أفريقية منها الكاميرون ومدغشقر وتانزانيا ومالاوى بدأت فى إجراءات الخصخصة لقطاع الاتصالات.

الإعلام الأفريقى المشترك:

يعانى الإعلام الافريقى المشترك من عدة قصورات تحول دون قيامه بدور فعال فى خدمة قضايا القارة اقليمياً وعالمياً علاوة على عجزه عن تلبية الاحتياجات الإعلامية والاتصالية لسكان القارة وتتمثل هذه القصورات فى:

١- ضعف الأداء الإعلامى لوكالة بانا الاقليمية التى تضم ما يزيد عن ٢٢ وكالة أنباء أفريقية ومقرها السنغال. وقد أتجهت فى الفترة الأخيرة إلى الخصخصة بعد معاناة طويلة بسبب عدم التزام الدول الأعضاء بدفع الاشتراكات وضعف التمويل الدولى وعدم كفاية الكوادر المؤهلة المدربة فضلاً عن غياب الاستراتيجية الإعلامية الأفريقية الموحدة.

٢- ضعف الأداء الإعلامى لاتحاد الإذاعات الأفريقية الذى يضم ٢٤ دولة أفريقية ويتولى بث وتوزيع البرامج المحلية والأجنبية فى ضوء الاتفاقيات المعقودة بين الدول الأعضاء وبعض المنظمات الدولية.

وقد اسفرت هذه القصورات عن ترك الساحة الأفريقية خالية أمام شبكات الاتصال الدولية مثل CNN، BBC، يورونيوز والشبكة الفرنسية التى يتركز نشاطها فى كل من داكار وجوهانسبرج ونيروبى ولاجوس وهزارنى ولوزاكا.

التحديات التى تواجه الإعلام الأفريقى:

لا شك أن غياب البنية التحتية للاتصالات والمعلومات فى معظم أنحاء القارة ما عدا المدن والعواصم الكبرى قد حال دون الاستفادة من الثورة التكنولوجية فى مجالى الاتصال والمعلومات مما أدى إلى إتساع الفجوة بين أفريقيا وسائر القارات من ناحية وفى داخل القارة من ناحية أخرى. ومما فاقم هذا الوضع استمرار وتزايد معدلات الأمية والفقر خصوصاً فى المنطاق الريفية النائية فى أفريقيا. ورغم وجود بعض مظاهر التحسن النسبى إلا أنه لم يبلغ المعدل المطلوب الذى يسمح بتحقيق الحد الأدنى العادل من الخدمة الإعلامية والاتصالية والمعلوماتية لسكان القارة.

obeikandl.com

وتتمحور الصعوبات فى هذا المجال حول:

١- ضعف الاستثمارات فى مجالى الاتصالات والمعلومات ومما يجدر ذكره أن القطاع الخاص فى الدول الأفريقية يحجم عن انشاء صحف أو إذاعات تتوجه إلى المناطق الريفية المهمشة ويؤكد ذلك أن التراخيص لا تمنح إلا للمحطات التى تقام فى مناطق حضرية ذات كثافة سكانية عالية مما يضمن للمعلنين دخلاً وإقبالاً جماهيرياً.

- هبوط مستوى الخدمات الاتصالية والإعلامية الحكومية.
- نقص الكوادر المؤهلة والمدربة فى مجال الإعلام والمعلومات.
- استنزاف القروض الدولية فى تغطية نفقات الاتصالات التليفونية واستخدام الانترنت. وتشير التقديرات الدولية إلى ضرورة توفير اعتمادات تتراوح ما بين ٤-٦ مليار دولار لتحسين الخدمات الاتصالية والمعلوماتية سواء من حيث الكثافة أو النوعية وإلا ستظل افريقيا فى ذيل دول العالم فى مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.
- هذا وتشير الشواهد إلى وجود ثلاثة أنواع من التحديات تواجه الإعلام الأفريقى تتراوح ما بين تحديات تكنولوجية وتحديات مهنية وتحديات ثقافية. وتفصيلاً لذلك:

التحديات التكنولوجية تتمثل فى:

١- سيطرة الشركات المتعدية الجنسية على إنتاج وتسويق التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية فى أفريقيا.

٢- معظم الدول الأفريقية لا تملك بنية تحتية ولا كوادر بشرية مؤهلة ولا قدرات تمويلية تمكنها من توطين التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية باستثناء جنوب أفريقيا ونيجيريا. وقد ترتب على ذلك اعتماد الدول الأفريقية على القروض الأجنبية بما لها من تداعيات سلبية على مسيرة الإعلام الأفريقى وتوجهاته مع الاكتفاء بنقل التكنولوجيا دون العمل على توطينها.

التحديات المهنية:

لقد أدت السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام الأفريقية إلى حرمان الإعلاميين الأفارقة والجماهير من حقوقهم فى حرية التعبير والمشاركة كما أدى ذلك إلى زيادة عجز النقابات الصحفية فى أفريقيا عن القيام بمسئولياتها تجاه المهنة وحماية حقوق الصحفيين.

هذا ويعانى الإعلام الأفريقى من ضعف التدفق البينى فى المعلومات والأخبار بين الدول الأفريقية إذ لا يزيد عن ٢% بسبب اعتماد الإعلام الأفريقى على المصادر الغربية التى تشمل الفضائيات وشبكات المعلومات مثل الانترنت والمينيتيل. كما أدت القفزة المفاجئة فى استخدام شبكات المعلومات واقتناء الهوائيات إلى حدوث خلل وعدم توازن فى الممارسات الإعلامية فى أفريقيا. ويعزى ذلك فى الأساس إلى عدم إجراء التعديلات اللازمة فى السياسات الإعلامية والثقافية بما يتلائم مع طبيعة المرحلة الراهنة ومتطلباتها. وإذا كانت الصحافة الأفريقية قد أستفادت جزئياً من الثورة التكنولوجية فى الاتصال والمعلومات خصوصاً فى مجال النشر والتوثيق والطباعة واستخدام الأقمار الصناعية فى إصدار طبعات اقليمية ودولية مثال مصر – الجزائر – جنوب أفريقيا – نيجيريا – كينيا – زامبيا – إلا أن الصحافة الأفريقية لا تزال تعانى من تدنى الامكانيات فى تكنولوجيا الطباعة (صناعة الورق – الأحبار.. إلخ) وإهمال التدريب للصحفيين الأفارقة وتخلف برامج التأهيل الأكاديمى علاوة على تراث السيطرة الحكومية.

التحديات الثقافية:

تتعرض السماوات الأفريقية للبث المباشر المنتظم من جانب ٣١٠ قناة فضائية تنتمى إلى ٥ شبكات رئيسية عالمية للأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية. وتشكل الولايات المتحدة القاعدة الأهم والأكثر تأثيراً للمشروع الثقافى العولمى بوجهه الاحتكارى وقدراته التكنولوجيا الهائلة وأدواته الإعلامية والمعلوماتية المتقدمة والتى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى والتى تسعى بدأب لإعادة بناء المنظومة الثقافية والقيمية لدى شعوب العالم بما يخدم مصالح السوق وأيديولوجيتها وذلك من خلال تهميش الثقافات الأخرى وفى مقدمتها الثقافة

الأفريقية. وفى ظل اكتساح الثقافة الأمريكية للعالم بسبب هيمنتها الاتصالية والمعلوماتية يبرز أمامنا بوضوح التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الأنجلوأمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم. وتعد أفريقيا ساحة رئيسية لهذا التنافس حيث تبرز الفرانكوفونية كأداة لمقاومة نزعة الهيمنة التى تكرسها الانجلوفونية بأعتبارها أداة التواصل الأكثر ذيوعاً وانتشاراً سواء على النطاق العالمى أو فى القارة الأفريقية بوجه خاص من خلال ما تبثه من برامج ومسلسلات مرئية ومسموعة وتستهدف الترويج لنمط الحياة الأمريكية. وتتعرض أفريقيا حالياً للاختراق الثقافى الأمريكى من خلال شبكات المعلومات والفضائيات والطريق السريع للاتصال والمعلومات حيث تستكمل الدور الذى تقوم به الشركات المتعدية الجنسية والثلاثى والاقتصادى (البنك الدولى + صندوق النقد الدولى + منظمة التجارة العالمية) والثمانية الكبار للسيطرة على الأسواق الأفريقية ويتم الاختراق الثقافى للدول الأفريقية لصالح السوق العالمية وعلى حساب أى محاولات وطنية للنهوض أو الاستقلال أو التمايز الاقتصادى والثقافى.

مؤشرات التحسن النسبى فى الإعلام الأفريقى:

فى ضوء الادراك العالمى المتزايد بضرورة تطوير تكنولوجيا الاتصال والمعلومات لدفع عجلة التنمية فى أفريقيا برزت كثير من المبادرات الدولية لتيسير وصول شعوب القارة إلى مصادر وشبكات المعلومات والاتصال الدولية قدمتها كل من اليونسكو والاتحاد الدولى للاتصالات والهيئة الكندية للتنمية الدولية ويضاف إلى ذلك البرامج العديدة لتطوير البنية الإتصالية والمعلوماتية فى القارة والتى طرحها السكرتير العام للأمم المتحدة. وهناك عدة مؤشرات للتحسن تتمثل فى القرارات التى صدرت عن مؤتمر أديس ابابا الذى عقده اليونسكو عام ١٩٩٥ وقد نجح فى إعداد إطار تنظيمى لتطوير استخدام الكومبيوتر فى مشروعات التنمية تجسد فى الوثيقة التى تبناها وزراء الإعلام الأفارقة عام ١٩٩٦ وعرفت باسم (المبادرة الأفريقية فى مجال المعلومات). وتركز هذه الوثيقة على خطط تطوير البنية التحتية فى مجال الاتصال والمعلومات فى إطار الأولويات التنموية للدول الأفريقية من خلال تعزيز التعاون بين الدول الأفريقية. وقد بدأت بعض الدول الأفريقية فى تنفيذ ما نصت عليه هذه الوثيقة

مثل بوركينافاسو والكاميرون وجزر القمر وأثيوبيا وجنوب أفريقيا ورواندا وموزمبيق ونامبيا وليسوتو وأوغندا. كذلك اتخذ مؤتمر ابيدجان للاتصالات المشتركة بين الدول الأفريقية الذى عقد عام ١٩٩٨ عدة قرارات هامة تنص على الزام وزارات الإعلام بوضع سياسات جديدة فى مجال إعادة تسعير الخدمات الاتصالية. وقد أثمرت هذه الجهود فى إعداد وثيقة عرفت بعنوان (علاقات التعاون الاتصالى بين الدول الأفريقية) شارك فى إعدادها ٤٠ وزير إعلام أفريقيى وتهدف إلى انشاء ١٥ مليون خط تليفونى خلال السنوات الخمس القادمة. وقد تضمنت الوثيقة الإشارة إلى ضرورة تأسيس مراكز للاتصال والمعلومات فى المناطق الريفية وقد ساند الاتحاد الدولى للاتصالات وبعض الهيئات الدولية الأخرى هذا المشروع مما أسفر عن تاسيس ٢٠ مركزاً تجريبياً فى أنحاء مختلفة من القارة.

هذا وتتصدر اليونسكو جميع المنظمات الدولية فى منح أولوية قصوى لتطوير قطاع المعلومات والاتصالات فى أفريقيا من خلال تعزيز برامج التعاون الاقليمى والاهتمام بالإعلام الريفى فى القارة. وقد برز ذلك فى عدة مشروعات أبرزها شبكات تدريب المعلمين على تكنولوجيا الاتصال واستخداماتها فى مجال التعليم وقد بدأ هذا المشروع فى كل من السنغال وزيمبابوى وسوف يمتد ليشمل ٢٢ دولة أفريقية. كما وافق البرنامج الانهائى للأمم المتحدة على تخصيص ٦ مليون دولار لتحسين استخدامات الانترنت فى أفريقيا فيما عرف بمشروع أو مبادرة الانترنت فى أفريقيا. وقد شاركت فى هذا المشروع كل من أنجولا وبوركينافاسو والرأس الأخضر وتشاد والكونغو وجامبيا وموريتانيا وناميبيا وساوتومى وبرنسيب وسوازيلاند وتوجو. أما برنامج الأمم المتحدة للبيئة فقد أسس شبكة الاتصالات البيئية فى أفريقيا. وتقدم منظمة الدول الناطقة بالفرنسية مساعدات أساسية لبرامج ومشروعات التكنولوجيا الاتصالية فى أفريقيا الفرانكوفونية. وقد بدأت ثمارها تظهر فى كل من بوركينا فاسو والكاميرون وساحل العاج ومدغشقر ومالى وموريشيوس وموريتانيا والسنغال.

وخلاصة ما يمكن قوله بالنسبة لهذه المساعدات الدولية أنها تسعى بالفعل إلى تضييق الفجوة بين أفريقيا وسائر قارات العالم من ناحية وداخل أفريقيا ذاتها بين الريف والحضر والأغنياء والفقراء من ناحية أخرى. خصوصاً وأن المخاوف تتزايد

عندما نلاحظ أن معدلات اختفاء الأمية وتحسين نوعية الحياة والحالة الصحية وسائر مؤشرات التنمية البشرية لا تزال منخفضة فى القارة الأفريقية لذلك فإن المساعدات الدولية ما لم يصاحبها جهود وطنية مخلصة من أبناء القارة وطلائعها الشعبية المستنيرة لمساعدة القارة على النهوض باستخدام التكنولوجيا الملائمة وتحقيق معدلات التنمية اللائقة المصحوبة بعدالة توزيع عائد الثروات على جميع هؤلاء الذين ينتمون للقارة فى الريف والحضر ما لم يحدث ذلك فإن تحقيق هذا الأمل سيظل حلماً جميلاً.

obeikandl.com